الفصل الأول

تحذير المرأة المسلمة من نواقض الإيمان

البحث الأول:

احتياط الشرع في حفظ عقيدة التوحيد

أختي المؤمنة:

لقد بالغ الشرع الشريف بشتى الوسائل وكافة السُّبل في حفظ ورعاية التوحيد، من أن يطرأ عليها سُوءُ فهمٍ من أحد... أو يُصيبها سوء قصدٍ من عدو...

ولهذا نجدها محاطة من جميع جوانبها بالعناية البالغة... والرعاية التامة... منهجاً وسلوكاً... قولاً وعملاً... نيّة وقصداً...

حتى إننا نرى أحكام الشرع في حفظ العقيدة أشدَّ بكثير من حفظها لأمور العبادات والمعاملات... بمعنى الوجوب والإلزام... أي: إن الشرع يرخّص للمضطر أو المريض فيما يكون مفروضاً أو واجباً عليهما قبل الاضطرار أو المرض من أحكام العبادات... أو فيما هو داخل في أحكام المطعومات والمشروبات المحظورة... ما لا يرخص بمثله في مجال الاعتقاد... حتى في حالة الإكراه على النطق بكلمة الكفر تحت التعذيب أو التهديد بالقتل أو قطع الأطراف... يحرص الشرع على المحافظة على سلامة الاعتقاد، وفي هذا يقول الله تعالى:

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[1].

---

(١) سورة النّحل، الآية: ١٠٦.

ونحن إذا تأملنا الآيات الكريمة الواردة في مجال الإيمان والاعتقاد نجدها شديدة الإحكام في الإلزام في جميع قضايا الاعتقاد ومسائل الإيمان، يقول الله تعالى:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(١).

ويقول الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾(٢).

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾(٣).

وإذا تأملنا الآيات الكريمة الواردة في مجال التشريع فإننا نلمس يُسْرَ الشريعة وسهولتها على المكلَّفين؛ يقول الله تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾(٤).

وقال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾(٥).

وقال رسول الله ﷺ: **«ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم..»**(٦).

فمن هذا... يتضح لنا جلياً أن الإسلام سهلٌ يسيرٌ في تشريعه... وشديدٌ متينٌ في عقائده.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
(٣) سورة النِّساء، الآية: ٤٨.
(٤) سورة البَقَرَة، الآية: ٢٨٦.
(٥) سورة التَّغَابُن، الآية: ١٦.
(٦) صحيح مسلم، كتاب الفضائل ٣٧، باب: توقيره ﷺ.

وما هذه الأحكام المتعلقة بأمور العقيدة والإيمان التي وردت في هذا الكتاب إلا صورة صادقة عن كبير عناية الإسلام بعقائده، وعظيم رعايته لقضاياها.

والعقائد الإسلامية لا تتعلق بقضايا الحلال والحرام بالمفهوم الفقهي بمقدار ما لها تعلّق بقضايا الفرائض والواجبات الاعتقادية الإلزامية؛ حيث إن تُركت أدّت إلى الكفر والخروج عن الإسلام، بعكس الفرائض والواجبات العملية التي إن تُركت من غير إنكار لها فإنها تؤدي إلى الفسق والخروج عن الطاعة، مع بقاء اسم الإسلام على تاركها كسلاً أو إهمالاً لا جُحوداً وإنكاراً...

والتعبير هنا بالحلال والحرام في المسائل الاعتقادية هو بمعنى ما يجوز اعتقاده - فضلاً عمّا يجب - وما لا يجوز اعتقاده.

وهذا من باب التوسّع في التسمية للوصول إلى الغاية المرجوّة في تعريف الناس العقائد الصحيحة في الإسلام من العقائد الزائفة والباطلة التي حرّمها أشدَّ التحريم حيث جعل معتقدها من أهل النار خالداً فيها أبد الآبدين..

ومن هنا كانت قضايا العقائد في حياة المسلمين ذات شأنٍ عظيم وقدرٍ كبير... حيث شغلت عامَّة حياتهم قديماً وحديثاً.. وهي الحَرِيّةُ والجديرة بذلك... فهي أصلُ دينهم وإسلامهم، ومنبع قوّتهم وحيويتهم، وسرُّ سعادتهم الدنيويّة والأُخروية.. بل هي الكلُّ بالكلِّ في وجودهم ودينهم..

وفيما يلي بحث وجوب سلامة العقيدة من الآفات الباطلة.

البحث الثاني:

وجوب سلامة العقيدة من الآفات

أختي المؤمنة:

لا شك أن سلامة العقيدة ووضوحها وبُعدها عن إغراق الوهم وجموح الخيال وتحكّم الأهواء، هو الهدف الأكبر الذي يسعى إليه كل مؤمن في تفكيره الدائب للوصول إلى الحقيقة...

والعقيدة التي جاء بها الإسلام في قوّتها وبساطتها وسلامتها من الشطط والانحراف، وارتكازها على أسس ثابتة من نصوص القرآن العظيم وحديث الرسول الكريم.. بحيث لا يمكن لعقول الفلاسفة أو المفكرين أن يَنقُضوا أصلاً واحداً من أصولها.. أو يبطلوا فرعاً من فروعها.. وذلك لما امتازت به من الصحّة المتكاملة والحق المطلق.

فهي عقيدة تقوم أولاً وأساساً على الإيمان بالله تعالى ربّاً واحداً؛ له الرُّبوبية المطلقة على الأشياء كلها خلقاً ومُلكاً وتدبيراً ورعاية وحفظاً، لا يُشركه في ذلك أحد أصلاً.. لا في خلق شيء ولا في تدبير أمر.. كما قال سبحانه عن نفسه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]! وأن خلقه للكائنات والأشياء والمخلوقات كلها قد تمّ بقدرته وحدها على وفق علمه ومشيئته من غير مثال سابق وبدون معين أو وسيط. وأن تدبيره تعالى لها جميعها كذلك يجري على ما قدّره من قوانين ثابتة.. وسنن مطّردة اقتضتها حكمته، فلا يستطيع أحد لها تحويلاً ولا تبديلاً.

وأنه تبارك وتعالى خلق الإنسان.. كما أنه سبحانه خلق من قبله الملائكة والجانّ.. وأنه تعالى كرّمه وفضّله.. وجعله سيّد هذه الكائنات.. وخليفته فيها.. بما منحه من سلطان العقل وقوّة الفكر وسِعة الحيلة، والقدرة على اكتشاف المجهول ممّا هو دون الغيب... وجعل الأشياء كلّها مسخرة له وطوْع إرادته، يستخدمها فيما يعود على أفراده بالخير والنفع..

كما أنّ هذه العقيدة تقوم على الإيمان بالله إلٰهاً واحداً، الذي لا تنبغي الإلٰهية إلا له وحده لا شريك له، فكما أنه تعالى واحد في ربوبيته هو واحد في ألوهيته؛ فهو الإله المألوه الذي تألهه القلوب، أي: تعبده رهبةً ورغبةً.. محبةً وإجلالاً.. وتقرباً وتذللاً.. وخضوعاً وتعظيماً.. وإنابةً واستكانةً.. ورجاءً وخشيةً.. وتوكّلاً واستعابةً.. وذكراً وشكراً.. ورضىً وصبراً.. وسؤالاً

(١) سورة الأعرَاف، الآية: ٥٤.

ودعاءً.. وقنوتاً وطاعة.. إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي يحبها ويرضاها.. والتي أمر عباده أن يتقربوا بها إليه.. ويقدسوه بواسطتها..

وتقوم على الإيمان بأن له وحده سبحانه الأسماء الحُسنى، والصفات العُليا، وأنه تعالى متصف بجميع الكمالات التي وصف بها نفسه في كتابه الكريم، ووصفه بها رسوله ﷺ اتّصافاً حقيقياً على الوجه الذي يليق به من غير أن يقتضي ذلك تمثيلاً أو تشبيهاً له بأحدٍ من خلقه، فإنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]، مع وجوب تنزيهه سبحانه عن كل ما لا يليق به من صفات المخلوقين التي تضاد كماله، وعن الشريك والصاحبة والولد، والنِّدّ والضّدّ والشبيه والنظير والمثيل..

وتقوم أيضاً على الإيمان بملائكة الله تعالى على الوجه الذي ورد في الكتاب والسنّة، من أنهم: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[2]، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، وأن منهم السفراء بين الله وبين رسله من البشر؛ يحملون إليهم وحيَهُ ورسالاته، ليقوموا بتبليغها إلى من أرسِلُوا إليهم من الناس، ومنهم من وُكِّلَ بالأرزاق والأمطار، ومنهم من وكِّلَ بالنطف التي تصبّ في الأرحام، ومنهم من وكِّل بقبض الأرواح من الأجساد، ومنهم من وكِّل بكتابة أعمال العباد، إلى غير ذلك ممّا جاءت به نصوص الكتاب والسنّة في شأن هذا العالم الغيبي الذي لا يحيل العقل وجوده، وإن كان لا يستطيع إدراكه.

وهكذا كل ما أخبر به الدِّين من عوالم الغيب كالجنّ والشياطين، واليوم الآخر، وما يقدمه من أهوال القيامة، وما بعده من البعث والنشور والحشر والحساب والميزان والصراط والجنّة والنار، وما جاء عن أول أحوال الآخرة من سكرات الموت، وما بعده من سؤال القبر ونعيمه وعذابه؛ ما دام قد جاء

(١) سورة الشّورى، الآية: ١١.
(٢) سورة الأنبياء، الآيات: ٢٦-٢٨.

الخبر الصادق بوجودها، بعد أن قام الدليل على صدق المخبر بها «وهو رسول الله ﷺ»، فليس للعقل بعد ذلك مجال لإنكار أو جحود أو تكذيب.

وتقومُ عقيدةُ الإسلام أيضاً على الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره إيماناً يحمل إلى النفوس الطمأنينة والرضا، وينفي عنها الهلع والجزع، ويحملها على التسليم لله تعالى فيما قدّره، والاعتراف به بقهر الربوبية لكن من غير أن يتخذ هذا الإيمان بالقدر مطيّة للعجز والتواكل والتقصير والعِصيان، أو حجّة يتعلل بها أهل الكذب والبُهتان، فإن القدر إنما يتعزّى عن المصائب لا عن المعايب، ولكنه ليس بحجة لأهل الفسوق والإجرام، بل هؤلاء عليهم أن يتوبوا إلى الله ويستغفروه لذنوبهم وفسقهم بدلاً من التعلّق بالأماني والأحلام.

وتقوم عقيدة الإسلام على أن الدين كله لله تعالى، فهو الذي يتعبَّدُ عباده بما يشاء ويشرّع لهم من الأحكام، والحدود والفرائض، والحلال والحرام، والآداب والأخلاق، ما اقتضته حكمته ممّا يعلم أنّ فيه صلاحهم وسعادتهم، فلا يجوز لأحد أن يزيد في دين الله تعالى ما ليس منه، أو يُنقص منه ما هو منه، أو يبدّل كلماته عن مواضِعِها، أو يحرّفها بتأويلٍ زائغٍ أو يشرّع ما لم يأذن به الله.

وتقوم أخيراً على أن دين الله تعالى واحد، وهو الإسلام الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه، وأن الأنبياء كلهم أصول دينهم واحدة، وشرائعهم شتّى، وأن الواجب هو الإيمان بهم وبما أنزل إليهم جميعاً، قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾(١). وقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾(٢).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣.

البحث الثالث:

تحريم الشرك بالله ﷻ

أختي المؤمنة:

أعاذنا الله منه بمنّه وكرمِه، وختم لنا بالحُسنى في عافيةٍ بلا محنةٍ، إنه أكرم كريم وأرحم رحيم.

لمّا كان الكفر أعظم الذنوب كان أحقَّ بأن يُبْسط الكلام عليه وعلى أحكامه فنقول:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٣].

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أُنبئكُم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله، وعقُوقُ الوالدين** - وكان متّكئاً فجلس - **ألَا وقول الزُّور ألا وشهادة الزور**» فما زال يُكررها حتى قلنا: ليته سكتَ[٤].

وفي الحديث الصحيح قوله ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبع الموبقات، وذكر منها الإشراك بالله**»[٥].

وروى أحمد والبخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**الكبائر: الإشراك بالله، وعُقُوقُ الوالدين، وقتل النفس**»[٦].

---

(١) سورة النِّساء، الآية: ٤٨.
(٢) سورة لقمَان، الآية: ١٣.
(٣) سورة المَائدة، الآية: ٧٢.
(٤) صحيح البخاري «الفتح» ج١، ح٥٩٧٦، وصحيح مسلم ١/ ١٩.
(٥) صحيح البخاري «الفتح» ج٥، ح٢٧٦٦، وصحيح مسلم ١/ ٩٢.
(٦) صحيح البخاري ١١، ح٦٦٧٥ «الفتح»، وأحمد ٢/ ٢٠١.

وقوله ﷺ: «الكبائرُ: الإشراك بالله، وقتل النَّفس، وعقُوقُ الوالدين، ألا أُنبئكُم بأكبر الكبائر؟ قول الزُّور»(١).

وكونه أكبرهن إنما هو فيما لم يردُ فيه ما يدلُّ على أنه أكبر منها كالشرك، والقتل، والزنا.

وقوله ﷺ: «الكبائر تسعٌ وأعظمهن إشراكٌ بالله»(٢).

وعن أحمد قوله ﷺ: «ألاَ أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله، وعقُوقُ الوالدين، وقول الزور»(٣).

وعن البخاري قوله ﷺ: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقُوقُ الوالدين، وشهادة الزُّور»(٤).

وعن أحمد قوله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر: الشرك بالله، وعقُوقُ الوالدين، واليمين الغَمُوس، وما حلف حالفٌ بالله يمين صبرٍ فأدخل فيها جناحَ بعوضة إلا جُعِلَت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة»(٥).

وقال ﷺ: «اذهب يا ابن الخطّاب» وفي رواية: «قُمْ يا عمرُ فَنادِ في الناس: إنه لا يدخل الجنَّة إلا المؤمنون» [أي المؤمنون الذين قاموا بالطاعات، واجتنبوا الموبقات، وأحلّوا الحلال وحرّموا الحرام](٦).

وقال ﷺ: «يا بلالُ قُمْ فأذّن: لا يَدْخُلُ الجنَّةَ إلا مؤمنٌ، وإن الله ليؤيِّد هذا الدِّينَ بالرّجلِ الفاجِرِ»(٧).

---

(١) صحيح البخاري ٥، ح٢٦٥٤ «الفتح»، وصحيح مسلم ١/ ١٤٣.
(٢) أخرجه أبو داود ٣، ح٢٨٧٥، وهو حديث صحيح.
(٣) صحيح البخاري ٥، ح٢٧٦٦ «الفتح»، وصحيح مسلم ١/ ٩٢.
(٤) صحيح البخاري ١٢، ح٦٨٧١ «الفتح».
(٥) أخرجه أحمد ٣/ ٤٩٥، والترمذي ٥، ح٣٠٢٠، وإسناده حسن.
(٦) الحديث في صحيح مسلم ١/ ١٠٧ - ١٠٨، وأحمد ٣/ ٤١٥.
(٧) صحيح البخاري ٧، ح٤٢٠٣، «الفتح».

وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة»[١].

وقوله ﷺ: «إنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمةٌ، وإن الله ليؤيِّد هذا الدِّين بالرّجلِ الفاجر»[٢].

وقوله ﷺ: «من بدَّل دِينَهُ فاقتُلُوهُ»[٣].

وروى البيهقي عن النبي ﷺ: «من بدّل دينه أو رجع عن دينه، فاقتلوه، ولا تُعذِّبوا عباد الله بعذاب الله»[٤].

تنبيهاتٌ منها: بيان الشرك وذكرُ جملةٍ من أنواعه، لكثرة وقوعها في الناس، وعلى ألسنة العامّة من غير أن يعلموا أنها كذلك، فإذا بان لهم بعضها فلعلّهم أن يجتنبوها؛ لئلاّ تُحبط أعمالهم، ويخلدوا في أعظم العذاب وأشد العقاب، ومعرفة ذلك أمرٌ مهمٌ جداً، فإن من ارتكب مكفِّراً تُحبط جميع أعماله، ويجبُ عليه قضاءُ الواجب منها عند جماعة من الأئمة كأبي حنيفة، وقد توسع أصحابه في المُكَفِّرات وعدُّوا منها جملاً مستكثرة جداً، وبالغوا في ذلك أكثر من بقيّة أئمة المذاهب، مع قولهم بأنّ الردة تُحبط الأعمال، وبأن من ارتدَّ بانت منه زوجته، وحَرُمت عليه، فمع هذا التشديد العظيم بالغوا في الاتساع في المُكفِّرات، فتعيّن على كلِّ ذي مسكة من دينه أن يعرف ما قالوه حتى يجتنبه، ولا يقع فيه فيحبط عملهُ، ويلزمهُ قضاؤهُ وتبِينَ زوجتهُ عند هؤلاء الأئمة، بل عند الشّافعي رحمه الله: أنّ الرِّدّة وإنْ لم تُحبطَ العمل لكنها تُحبط ثوابهُ، فلم يبقَ الخلاف بينه وبين غيره إلا في القضاء فقط، والأكثرون وإن لم يقلِّدوهم لكن الاستبراء للدِّين والنّفس المأمور به يُوجب الاحتياط ومراعاة الخلاف، ما أمكن، سيما في مثل هذا الباب الضيّق الشديد الحرج في الدنيا والآخرة، بل لا أشدّ منه.

فمن أنواع الكُفرِ والشرك: أن يعزم الإنسان عليه في زمن بعيد أو قريب، أو

---

(١) صحيح مسلم ١/ ١٠٦، وأحمد ٣/ ٤١٥.

(٢) صحيح البخاري ٧، ح٤٢٠٣، «الفتح».

(٣) صحيح البخاري ١٢، ح٦٩٢٢ «الفتح»، وأحمد ١/ ٢١٧، وأبو داود ٤، ح٤٣٥١.

(٤) صحيح البخاري ١٢، ح ٦٩٢٢ «الفتح»، وأحمد ١/ ٢١٧.

يُعلّقه باللسان أو القلب على شيء ولو مُحالاً عقلياً فيما يظهر، فيكفرُ حالاً، أو يعتقد ما يوجبهُ، أو يفعل أو يتلفّظ بما يدلُّ عليه، سواء أصدر عن اعتقادٍ أو عنادٍ أو استهزاءٍ، كأن يعتقد قِدَمَ العالم، أو نفى ما هو ثابتٌ لله تعالى بالإجماع المعلوم من الدِّين بالضرورة، كإنكار أصل نحو علمِه أو قدرته سبحانه. وكأن يسجد لمخلوقٍ كالشمس، إن لم تدلَّ قرينةٌ ظاهرةٌ على عُذره، وفي معنى ذلك كلُّ من فعل فعلاً أجمع المسلمون على أنه لا يصدرُ إلا من كافرٍ، وإن كان مُصرّحاً بالإسلام، كالمشي إلى الكنائس مع أهلها بزيّهم من الزنانير وغيرها، أو يُلقي ورقة فيها شيء من قرآن أو علم شرعي، أو فيها اسم الله تعالى في نجاسة، أو يشكُّ في نبوة نبي أُجمع عليها، أو في إنزال كتاب كذلك كالتوراة أو الإنجيل، أو زبور داود، أو صحف إبراهيم صلّى الله عليهم وسلم، أو في آية من القرآن مجمع عليها كالمعوِّذتين، أو تكفير الصّحابة، أو استحل محرّماً كالصّلاة بغير وضوء، أو حرّم حلالاً كالبيع والنّكاح، أو زعم النبوة مكتسبة، أو أنّ رتبتها يُوصلُ إليها بصفاء القلب، أو الوليّ أفضلُ من النبي، أو أنّه يُوحى إليه، وإن لم يَدَّعِ نبوة، أو يعيب نبيَّنا ﷺ، ومثله غيره من الأنبياء، أو يلعنه، أو يسبه، أو يستخف، أو يستهزىء به، أو بشيء من أفعاله ﷺ.

وقوله ﷺ: **«أيُّما رجلٍ مسلمٍ كفَّرَ رجلاً مسلماً، فإنْ كان كافراً وإلّا كانَ هو الكافرُ»**(١).

وقوله ﷺ: **«من قال إني بريءٌ من الإسلام، فإن كان كاذباً فهو كما قال، وإن كان صادقاً لم يعد إلى الإسلام سالماً»**(٢).

وعن البخاري قوله ﷺ: **«إذا قال الرجل لأخيه يا كافرُ، فقد باء بها أحدهما»**(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود ٤، ح٤٦٨٧، والحديث صحيح، انظر صحيح الجامع ٢٧٢٧.

(٢) أخرجه النسائي ٧/ ٦، وابن ماجه ١، ح٢١٠٠، والحاكم ٤/ ٢٩٨، وقال: صحيح ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح البخاري ١٠، ح٦١٠٣ «الفتح»، ومسلم ١/ ٧٩.

وقوله ﷺ: «أيُّما امرئٍ قال لأخيه يا كافرُ، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه»(١).

وقوله ﷺ: «ما كفّر رجلٌ رجلاً قطُّ إلا باءَ بها أحدهما»(٢).

وعن مسلم قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا وأصبح فريقٌ من الناس بها كافرين، يُنزل الله الغيثَ، فيقولون: مُطِرنا بكوكب كذا وكذا»(٣).

وقوله ﷺ: «ألَمْ تَرَوْا ما قال ربّكم؟ قال: ما أنعمتُ على عبادي من نعمةٍ إلا أصبح فريقٌ منهم بها كافرين يقولون: الكوكب بالكوكب»(٤).

وعن أحمد والبخاري قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة؟ قال الله: أصبح من عبادي مؤمنٌ وكافرٌ، فأمّا من قال: مُطِرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكواكب»(٥).

وعن أحمد عن النبي ﷺ: «من جاء يعبد الله لا يُشرِك به شيئاً ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويتقي الكبائر فإن له الجنة» قالوا: وما الكبائر؟ قال: «الإشراك بالله، وقتل النفس المسلمة»(٦).

وعن النبي ﷺ قال: «أنا زعيمٌ لمن آمن بي وأسلم وهاجر، ببيتٍ في رَبَضِ الجنة - أي أسفلها - وببيت في وسط الجنة، وببيت في أعلى غُرف الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلباً، ولا من الشر مهرباً يموت حيث شاء أن يموت»(٧).

---

(١) صحيح مسلم ١/ ١١١، والترمذي ٥، ح٢٦٣٧.
(٢) أخرجه ابن حبان ١، ح٢٤٨، وهو في صحيح الجامع ٥٥٤٥.
(٣) صحيح مسلم ١/ ٨٤.
(٤) صحيح مسلم ١، ح١٢٦، وأحمد ٢/ ٣٦٢ - ٣٦٨.
(٥) صحيح البخاري ٢/ ٨٤٦، وصحيح مسلم ١/ ١٢٥.
(٦) أخرجه أحمد ٥/ ٤١٣، والنسائي ٧/ ٧٨٨ والحديث إسناده صحيح، صحيح النسائي ٣٧٤٣.
(٧) أخرجه النسائي ٦، ص٢١، وابن حبان ٧، ح٤٦٠٠، والحاكم ٢/ ٧١، صحيح وأقره الذهبي.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى لا يظلمُ المؤمن حَسَنةً، يُعْطى عليها في الدنيا ويُثاب عليها في الآخرة، وأمّا الكافر فيُعطى بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنةٌ يُعطى بها خيراً»[١].

وقوله ﷺ: «إني رأيت في المنام كأنّ جبريل عند رأسي وميكائيلَ عندَ رجلي، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً، فقال: اسمعْ سمعت أُذُنُكَ، واعْقِل عقَلَ قلبُكَ، إنما مثلك ومثل أُمتك كمثل ملكٍ اتخذ داراً، ثم بنى فيها بيتاً، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسولٌ، من أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنَّة أكل ما فيها»[٢].

البحث الرابع:

تحريم الرّياء، الذي يُعتبر الشركُ الأصغر

أختي المؤمنة:

احذري الرّياء في الطاعات والصدقات، واجعلي جميع ذلك خالصاً لوجه الله تبارك وتعالى، فإن الرياء مبطلٌ للطّاعات، ومذهبٌ للثواب.

وقد شهد بتحريمه الكتابُ والسنّةُ وانعقد عليه إجماعُ الأمة؛ أمّا الكتاب فمنه قوله ﷻ قائلاً: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[٤].

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٥٦، وأحمد ٣/ ١٢٣.

(٢) أخرجه الترمذي ٥، ح٢٨٦٠، والحاكم ٤/ ٣٩٣، وقال: حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٣) سورة الماعون، الآية: ٦.

(٤) سورة فَاطِر، الآية: ١٠.

قال مجاهد: هم أهل الرياء، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[١] أي لا يرائي بعمله، ومن ثم نزلت فيمن يطلب الأجر والحمد بعباداته وأعماله.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[٢].

وأما السُّنّةُ فمنها: ما رواه أحمد عن النبي ﷺ: «**إن أخوَفَ ما أخافُ عليكم الشّركُ الأصْغَرُ، الرّياءُ، يقولُ الله يوم القيامة إذا جُزِيَ النّاس بأعمالهم: اذْهَبُوا إلى الذين كنتم تُراؤونَ في الدنيا، انظروا هل تجدون عندهم جزاءً؟**»[٣].

وما رواه الحاكم عن رسول الله ﷺ: «**الشركُ الخفي أنْ يعملَ الرجل لمكانِ الرّجلِ**»[٤].

وقوله ﷺ: «**إنّ الله إذا كان يوم القيامة ينزلُ إلى العباد ليقضيَ بينهم، وكلُّ أُمّةٍ جاثيةٌ، فأوّل من يُدعى به رجلٌ جمعَ القرآن، ورجلٌ قُتِلَ في سبيل الله، ورجلٌ كثير المالِ، فيقول الله للقارىء: ألَمْ أعلِّمْكَ ما أنزلتُ على رسولي؟ قال: بلى يا ربِّ، قال: فماذا عملتَ فيما علمتَ؟ قال: كنتُ أقومُ آناءَ الليلِ وآناءَ النّهار، فيقول الله لهُ: كذبتَ بل أردتَ أن يُقال: فلانٌ قارىءٌ، فقد قيل ذلك، ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله لهُ: ألَمْ أُوَسِّعْ عليكَ، حتى لم أدَعْكَ تحتاجُ إلى أحدٍ؟ قال: بلى يا ربِّ، قال: فما عملتَ فيما آتيتُكَ؟ قال: كنتُ أصِلُ الرّحمَ وأتصدَّقُ، فيقول الله له: بل أردتَ أن يُقالَ فلانٌ جَوادٌ، فقد قيلَ ذلك، ويُؤتى بالّذي قُتِلَ في سبيل الله، فيقول الله له: فيماذا قُتِلتَ؟ فيقول: أمرتَ بالجهاد في سبيلكَ، فقاتلتُ حتى قُتِلْتُ، فيقول الله لهُ: كذبتَ، ويقولُ الله له: بل أردتَ أن يُقالَ: فلانٌ جريءٌ: أي شجاعٌ، فقد قيلَ ذلك، يا أبا هريرة أولئك الثلاثةُ أوّلُ خَلْقِ الله تُسَعّرُ بهم النار يوم القيامة**»[٥].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الإنسَان، الآية: ٩.

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٤٢٨ - ٤٢٩، وانظر الأحاديث الصّحيحة ٩٥١.

(٤) أخرجه الحاكم ٤/ ٤٢٩، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال الذهبي: صحيح.

(٥) أخرجه الترمذي ٤، ح٢٣٨٢، والحاكم ١/ ٤١٨ - ٤١٩، وقال: حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وله شواهد في الصحيح.

ورواية أحمد ومسلم من قوله ﷺ: «إن أوّل الناس يُقضى عليه يوم القيامة رجلٌ استشهد، فأُتيَ به فعرَّفَهُ - أي الله - نعمتَهُ فعرَفَها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيكَ حتى استشهدتُ، قال: كذبتَ ولكنك قاتلت ليُقال جريءٌ فقد قيلَ، ثم أُمر به فسحبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النّار، ورجلٌ تعلَّم العلمَ وقرأ القرآن، فأُتيَ به فعرَّفه نعمتَهُ فعرَفَها، قال: فماذا عملتَ فيها؟ قال: تعلّمت العلمَ وعلمتُهُ، وقرأتُ فيكَ القرآن، قالَ: كذبتَ، ولكنك تعلّمتَ العلم ليُقال عالمٌ، وقرأت القرآن ليُقال هو قارئٌ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجلٌ وَسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتِيَ به فعرَّفَهُ نعمتَهُ فقال: فماذا عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تُحب أن يُنفقَ فيها إلا أنفقتُ فيها، قال: كذبتَ ولكنك فعلته ليُقال: هو جوادٌ، فقدْ قيلَ، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهِهِ، ثم أُلْقِيَ في النار»[(١)].

وقوله ﷺ: «إذا جمعَ الله الأوّلين والآخِرين ليوم لا ريبَ فيه، نادى منادٍ: مَنْ كان أشرك في عملٍ عملَهُ لله أحداً فليطلب ثوابَهُ من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»[(٢)].

وأخرج مسلم في صحيحه قالَ رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشركِ، مَنْ عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركتُه وشِركَهُ، إذا كان يومُ القيامة أُتِيَ بصحف مختّمة فتُنْصَبُ بين يدي الله تعالى، فيقول الله لملائكته: اقبلوا هذا وألقوا هذا، فتقول الملائكة: وعزّتِكَ ما رأينا إلّا خيراً، فيقولُ: نعم لكن كان لغيري، ولا أقبل اليوم إلّا ما ابْتُغِيَ به وَجْهِي»[(٣)].

وعن أحمد قوله ﷺ: «من سَمَّعَ سَمَّعَ الله به، ومن راءى راءى الله به، ومن شاقَّ شقَّ الله عليه يوم القيامة»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم ٣، ح١٥١٤، وأحمد ٢/ ٣٢٢، والنسائي ٦/ ٢٤.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٢١٥، والترمذي ٥، ح٣١٥٤، وابن ماجه ٢، ح٤٢٠٣، وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجه ٣٣٨٨.

(٣) أخرجه مسلم ٤، ح٢٢٨٩، وأحمد ٢/ ١ - ٣، وابن ماجه ٢، ح٤٢٠٢.

(٤) صحيح مسلم ٤، ح٢٢٨٩، وأحمد ٣/ ٤.

وقال ﷺ: «رُبَّ صائمٍ ليس لهُ من صيامِهِ إلّا الجوع، ورُبَّ قائمٍ ليس له من قيامه إلّا السَّهر»(١).

وأحمد والطبراني والحاكم من قوله ﷺ: «رُبّ قائمٍ حظُّهُ من قيامه السّهر، وربَّ صائمٍ حظُّه من صيامه الجوع والعطش»(٢).

الرياء مأخوذٌ من الرّؤية، والسُّمعة من السّماع، وحدُّ الرّياء المذموم إرادةُ العامل بعبادته غير وجه الله تعالى، كأن يقصد إطلاعَ الناس على عبادته وكمالهِ حتى يحصل له منهم نحو مالٍ أو جاهٍ أو ثناءٍ، إمّا بإظهار نحولٍ وصُفرةٍ، وبنحو تَشَعُّثِ شعرٍ وبذاذة هيئةٍ، وخَفْضِ صوتٍ وغمضِ جفنٍ، إيهاماً لشدة اجتهاده في العبادة وحزنه وقلّة أكله وعدم مبالاته بأمر نفسه لاشتغاله عنها بالأهمِّ، وتوالي صومِهِ وسهره وإعراضه عن الدنيا وأهلها.

وإما بإظهار زيّ الصّالحين كإطراق الرأس في المشي والهدوء في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه، ولبس الصوف وخشن الثياب وتقصيرها وغير ذلك - إيهاماً أنه من العلماء - مع الإفلاس عن حقيقة العلم.

فإنْ قلت: قد تقرّر وجه كون الرّياء الشّرك الأصغر، فما وجه افتراقه من الشّرك الأكبر؟

قلتُ: يتّضح ذلك بمثال هو أن المصلي حتى يقول النّاس أنه صالح مثلاً، يكون رياؤهُ سبباً باعثاً له على العمل، لكنّه في خلال ذلك العمل تارة يقصد بهِ تعظيم الله تعالى وتارة لا يقصدُ به شيئاً، وفي كلٍّ منهما لم يصدر منه مُكفِّر، بخلاف الشّرك الأكبر، فإنه لا يحصل في هذا إلا إذا قصد بالسّجود مثلاً تعظيم غير الله تعالى، فعُلِمَ أن المرائي إنّما نشأ له ذلك الشرك بواسطة أنه عَظُمَ قَدْرُ المخلوق عنده حتى حملهُ ذلك العِظَمُ على أن يركع ويسجد، فكان ذلك المخلوق هو المعظَّم بالسّجود من وجهٍ، وهذا هو عينُ الشّرك الخفي لا الجليّ،

(١) أخرجه ابن ماجه ١، ح١٦٩، وذكره الألباني في صحيح الجامع ٣٤٨٨، وقال: صحيح.
(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٣، وابن حبان ٥/ ١٩٩، والحاكم ١/ ٤٣١، وقال: صحيح ووافقه الذهبي.

وذلك غايةُ الجهل، ولا يُقْدم عليه إلّا من خدعَهُ الشيطان وأوهم عندهُ أن العبد الضعيف العاجز يملك من معايشه ومنافعه أكثر ممّا يملكه الله تعالى، فلذلك عدل بوجهه وقصدُه إليهم عن الله تعالى، فأقبل يستميل قلبهم فيكله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة، كما مرّ في الحديث: «اذْهَبُوا إلى الّذين كُنْتُمْ تُراؤون فاطلُبوا ذلك عندهم» وهم لا يملكون لأنفسهم شيئاً سيما في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[2].

وقد يُطلقُ الرّياء على أمر مباح وهو طلبُ نحو الجاهِ والتّوقير بغير عبادةٍ، كأن يقصدُ بزينة لباسه الثّناء عليه بالنّظافة والجمالة ونحو ذلك، وقِسْ على ذلك ما أشبههُ من كلِّ تجمّلٍ وتزيّنٍ وتكرّمٍ لأجل النّاس، كالإنفاق على الفقراء لا في معرض العبادة والصدقة، بل ليُقال إنّه سخي [فهذا إن لم يدخل في رياءِ العبادةِ، فهو مكروه].

واعلم أن كثيرين ربّما يتركون الطّاعات خوف الرياء، وليس ذلك بمحمودٍ مطلقاً، فإن الأعمال إمّا لازمةٌ للبدن لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصّلاة والصّوم والحجّ، فإن كان باعثُ الابتداء فيها رؤية النّاس وحدها، فهذا محضُ معصيةٍ فيجبُ تركهُ ولا رخصة فيها على هذه الكيفية، وإن كان الباعثُ نيّة التقرّب إلى الله تعالى لكن عرض الرّياء عند عقدها، وشرع فيها وجاهد نفسه في دفع العارض، وكذا لو عرض في أثنائها فيردَّ نفسه للإخلاص قهراً حتى يُتمّها، فإن الشيطان يدعوك أولاً إلى التّرك، فإذا عصيته وعزمت وشرعت دعاك للرّياء، فإذا أعرضتَ عنه وجاهدته إلى أن فرغتَ ندّمَكَ حينئذٍ، وقال لك: أنت مُراءٍ لا ينفعك الله بهذا العمل شيئاً حتّى تترك العودة إلى مثل ذلك العمل فيحصل غرضَه منك، فكنْ منه على حذرٍ فإنّه لا أمكر منه، وألْزِم قلبَك الحياءُ من الله تعالى إذا

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨-٨٩. (٢) سورة لقمان، الآية: ٣٣.

أوجد فيك باعثاً دينياً على العمل فلم تتركه بل جاهدت نفسك في الإخلاص فيه، ولم تغترَّ بمكايد عدوّك وعدوّ أبيك آدم عليه السلام.

[اللَّهمَّ إنّا نعوذُ بك من الرياءِ والسّمعة، وأن نُشركَ بعبادتك أحداً سواك يا ربَّ العالمين، اللَّهمَّ اجعلْ أعمالنا خالصة لوجهك الكريم، وطهِّرها من شوائِب البطلانِ والفساد].

البحث الخامس:

تحريم التكذيب بقدر الله تعالى

أختي المؤمنة:

احذري أشدَّ الحذر من التكذيب بالقَدَرِ، فإنه من وساوس الشيطان، ومن عقيدة المشركين الذين كذّبوا رسول الله ﷺ بالقَدَرِ؛ أي بأنّ الله لم يُقدِّر على عبده الخيرَ والشرَّ، وهذا ما زعمه المعتزلةُ، الضالّون؛ فإنهم يزعمون أنّ العبد يخلق أفعال نفسه من دون الله تبارك وتعالى، فهم ينكرون القَدَرَ، فسُمُّوا قدريّة لذلك، وزعمهم أنّ الأحقّ بهذا الاسم هم المُثْبِتُون نسبة القدر إلى الله تعالى، ويردُّهُ صريحُ ما يأتي من الأحاديث، وعن الصّحابة رضوان الله عليهم، والحُجّة ليست إلا في ذلك، دون عقول أولئك الفاسدة التي استندوا إليها وترك النّصوص على عاداتهم القبيحة الشّنيعة، من تركهم صرائح النّصوص القطعيّة لمجرد خيال تخيّلته عقولهم، كإنكارهم سؤال الملكين وعذاب القبر والصراط والشفاعة والميزان والحوض ورؤية الله تعالى في الدار الآخرة بالبصر، وغير ذلك ممّا صحّت به الأحاديث بل تواترتْ من غير ريبٍ ولا مريةٍ، فقبحهم الله ما أخذلهم وأسْفَهَهُم وأجهلَهُم بالسُّنّة، وبنبيِّهم ﷺ الذي نطق بها عن الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1]. ودليلنا عليهم فيما نحن بصدده قوله

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.

تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[١].

وأكثر المفسّرين أنها نزلت في القدريّة، ويؤيّده ما أخرجه مسلم: أنّ سبب نزولها أنّ كفّار مكّة أتوا رسول الله ﷺ يُخاصمونه في القَدَرِ، فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[٢] [٣].

فالقدريّة هُمُ المجرمون الذين ذكرهم الله تعالى، ومن كان على طريقتهم كالمعتزلة وإن لم يكونوا عليها من كلّ وجه.

قال رسول الله ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق كلّها من قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة**»[٤]. وقال طاوس: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قالَ رسول الله ﷺ: «**كلُّ شيء بقدرٍ حتى العَجْزُ والكَيْسُ أو الكيسُ والعجزُ**»[٥].

وعن عليّ كرّم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن بالله عبدٌ حتى يؤمن بأربع: يشهدُ أن لا إلٰه إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحقِّ، ويؤمن بالبَعْثِ بعد الموتِ، ويؤمن بالقَدَرِ**»[٦].

وأنه ﷺ قال: «**سِتَّةٌ لعنهم الله، وكلُّ نبي مُجابُ الدعوة: المكذّب بقدرِ الله، والزائِدُ في كتاب الله، والمتسلّط بالجبروت ليُذِلَّ من أعزَّهُ الله، والمستحلُّ حرمة الله، والمستحل من عترتي ما حرّم الله، والتارِكُ لسنّتي**»[٧].

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٩.
(٢) سورة القمر، الآيات: ٤٧-٤٩.
(٣) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٤٦، من حديث أبي هريرة.
(٤) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٤٤، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.
(٥) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٤٥، من حديث طاوس عن بعض أصحاب النبي.
(٦) أخرجه الترمذي ٤/ ٢١٤٥، وابن ماجه ١/ ٨١، من حديث عليّ، وقال الألباني: صحيح.
(٧) أخرجه ابن حبان ٧/ ٥٧١٩، والحاكم ١/ ٣٦، من حديث عائشة وقال: قد احتج البخاري بعبد الرحمٰن ابن أبي الموال، وهذا حديث صحيح الإسناد ولا أعرف له علّة ولم يُخرّجاه، وقال الذهبي: صحيح ولا أعرف له علّةً.

وقال ﷺ: «القدريَّةُ مجوسُ هذه الأمة»(١).

وأخرج ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «إن مجوسَ هذه الأمة المكذّبون بقدرِ الله، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلِّموا عليهم»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث، ويؤمن بالقدر خيره وشرّه»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «السعيدُ من سَعِدَ في بطن أُمّهِ، والشّقيُّ من شقي في بطن أُمّه»(٤).

وقال ﷺ: «قَدَّرَ الله المقادير قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنةٍ»(٥).

وقال صلوات الله عليه: «لو أن ابن آدم هربَ من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه كما يُدركه الموت»(٦).

وقال ﷺ: «إذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيءٌ»(٧).

---

(١) أخرجه الحاكم ١/ ٨٥، من حديث ابن عمر، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ٢٠٥، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه زكريا بن منظور وثقه أحمد بن صالح وغيره وضعفه جماعة.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١/ ٩٢، من حديث جابر، وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١/ ٨١، والترمذي ٤/ ٢١٤٥، والحاكم ١/ ٣٣، وأحمد ١/ ٩٧، وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع ٧٥٨٤.

(٤) ذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ١٩٣، وقال: رواه البزار والطبراني في الصغير، ورجال البزار رجال الصحيح.

(٥) أخرجه أحمد ١/ ١٦٩، والترمذي ٤/ ٢١٥٦، وقال: إسناده صحيح.

(٦) رواه أبو نعيم في الحلية ٧/ ٩٠، وابن عساكر ٢/ ١١، وذكره الألباني في الصّحيحة ٩٥٢.

(٧) أخرجه مسلم ٢/ ١٠٦٤، من حديث أبي سعيد الخدري.

وقال ﷺ: «من خلقه الله لواحدةٍ من المنزلتين وفّقه لعملها»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «كلٌّ امرىء مهيّأٌ لما خُلِقَ له»(٢).

وقال ﷺ: «كلٌّ ميسَّر لما خُلِقَ له»(٣).

وعن أبيّ بن كعب وحذيفة وابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «لو أن الله عذَّبَ أهل سماواته وأهل أرضه لعذّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحُدٍ ذهباً في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقَدَرِ؛ فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطِئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو متَّ على غير هذا لدخلت النّار»(٤).

وقال ﷺ: «ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة» قيل: أفلا نتّكِلُ؟ قال: «لا! اعملوا ولا تتكلوا، فكلٌّ مُيسّر لما خلق له، أما أهل السعادة فيُسيَّرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيُسيّرون لعمل الشقاوة»(٥).

وعنه ﷺ: «لا يُؤمِنُ عَبْدٌ حتّى يُؤمِنَ بالقَدَرِ خيرِهِ وشرّهِ، وحتّى يعلمَ أنّ ما أصابَهُ لم يكنْ ليُخْطِئَهُ، وما أخطأهُ لم يكن ليُصيبَه»(٦).

وقالَ رسولُ الله ﷺ: «يا أبا هريرةَ جفَّ القلمُ بما أنت لاقٍ»(٧).

وقال رسول الله ﷺ: «إذا مرَّ بالنّطْفَةِ اثنتانِ وأربعُونَ ليلةً بَعَثَ الله إليها مَلَكاً

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٨٧ - ١٨٨، من حديث أبي هريرة، وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه بكار بن محمد السيريني، وثّقه ابن معين وضعّفه الجمهور، وأخرجه البخاري ١١/ ٥٩٦٦ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ٢٠٤١.

(٢) أخرجه أحمد ٦/ ٤٤١، والحاكم ٢/ ٤٦٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وذكره الألباني في صحيح الجامع ٤٥١١، وقال: حسن من حديث أبي الدّرداء.

(٣) أخرجه البخاري ١٣/ ٧٥٥١ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ٢٠٤١، من حديث عمران بن حصين.

(٤) أخرجه أحمد ٥/ ١٨٩، وأبو داود ٤/ ٤٦٩٩، وابن ماجه ١/ ٧٧، وهو حديث حسن.

(٥) أخرجه البخاري ٨/ ٤٩٤٨، وصحيح مسلم ٤/ ٢٠٣٩، من حديث عليّ.

(٦) أخرجه الترمذي ٤/ ٢١٤٤، وقال: حديث حسن.

(٧) صحيح البخاري ٩/ ٥٠٧٦، والنسائي ٦/ ٦٦، من حديث أبي هريرة.

فصوَّرَها وخلَقَ سَمْعَها وبَصَرها وجِلْدَها وشَحْمَها وعَظْمَها، ثم قال: يا ربِّ أذَكَرٌ أم أُنثى؟ فيقضي ربُّكَ ما شاءَ ويكتبُ المَلَكُ، ثم يقولُ: يا ربِّ أجلُهُ؟ فيقضي ربُّكَ ما شاءَ ويكتبُ المَلَكُ، ثم يقولُ: يا ربِّ رِزْقُهُ؟ فيقضي ربُّك ما شاءَ ويكتبُ المَلَكُ، ثم يخرجُ المَلَكُ بالصّحيفة فلا يزيدُ على ما مرَّ ولا ينقصُ»[١].

وقالَ رسول الله ﷺ: «إن النّطْفَةَ تقع في الرّحم أربعين ليلةً، ثم يتصوّر عليها المَلَكُ الذي يخلقها، فيقولُ: يا ربِّ ذَكَرٌ أمْ أُنثى؟ فيجعله الله ذكراً أو أنثى، ثم يقول: يا ربِّ سَوِيٌّ أمْ غيرُ سويٍّ؟ فيجعلُهُ الله سوياً أو غيرَ سويٍّ، ثم يقولُ: يا ربِّ ما رِزْقُهُ؟ وما أجلُهُ؟ ثم يجعله الله شقياً، أو سعيداً»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «يدخلُ المَلَكُ على النُّطْفَةِ بعدَما استَقَرَّتْ في الرّحم بأربعين ليلة فيقولُ: يا ربِّ ماذا؟ أشقيٌّ أو سعيدٌ؟ ذكَرٌ أمْ أُنثى؟ فيقول الله، فيكتبُ ويكتبُ عملهُ وأثرَهُ ورِزْقَهُ وأجلَهُ، ثم تُطْوَى الصّحيفة فلا يُزَد على ما فيها ولا يُنْقَص»[٣].

وأخرج الشّيخان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أحدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمّهِ أربعين يوماً، ثم يكونُ علقة مثلَ ذلكَ، ثمَّ يكونُ مُضْغَةً مثلَ ذلك، ثم يَبعَثُ الله إليه مَلَكاً ويُؤمَرُ بأربع كلماتٍ، ويُقال له: اكتبْ عَمَلَهُ وأجَلَهُ ورِزْقَهُ، وشقيٌّ أو سعيدٌ، ثم ينفخُ فيه الرُّوحَ؛ فإنّ الرَّجُلَ منكُمْ ليَعمَلُ بعملِ أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهلِ النّارِ فيدخلُ النَّارَ، وإنّ الرَّجُلَ ليَعْمَلُ بعملِ أهلِ النّار حتّى ما يكون بينَهُ وبينَها إلّا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ الجنّةِ فيدخلُ الجنَّةَ»[٤].

وقالَ رسولُ الله ﷺ: «أتَدْرُونَ ما هذان الكتابان؟ هذا كتاب مِنْ ربِّ العالمين، فيه أسماءُ أهلِ الجنّة، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجملَ على

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٣٧، من حديث ابن مسعود.
(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٣٨، من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري.
(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٣٩٧، وصحيح مسلم ٤/ ٢٠٣٧، من حديث حذيفة بن أسيد.
(٤) صحيح البخاري ٦/ ٣٣٣٢، وصحيح مسلم ٤/ ٢٠٣٦، من حديث ابن مسعود.

آخرِهِمْ، فلا يُزاد فيهم ولا يُنْقَصُ، وهذا كتاب مِنْ ربِّ العالمين، فيه أسماءُ أهل النّار وأسماءُ آبائهم وقبائِلهم، ثم أجملَ على آخرِهم، فلا يُزادُ فيهم ولا يُنقَصُ منهم أبداً، سَدِّدُوا وقارِبُوا، فإنّ صاحبَ الجنَّة يُختَمُ له بعملِ أهلِ الجنّةِ، وإنْ عملَ أيَّ عملٍ، وإنّ صاحب النّار يُختَمُ له بعمل أهل النّار، وإن عملَ أيَّ عملٍ، فرغَ ربُّكم من العبادِ فريقٌ في الجنّة، وفريقٌ في السّعيرِ»[1].

وقال ﷺ: «إنّ الله خلقَ آدَمَ، ثم أخذَ الخَلْقَ من ظهرِهِ، فقال: هؤلاء في الجنّةِ ولا أُبالي، وهؤلاء في النّار ولا أُبالِي»[2].

وقالَ رسولُ الله ﷺ: «احتجَّ آدمُ وموسى، فقال موسى: أنتَ الذي خلقَكَ الله بيدِهِ ونفخَ فيكَ من رُوحِهِ وأسْجَدَ لكَ ملائِكتَهُ وأسكنَكَ جنّتَهُ، أخرجتَ النّاسَ من الجنّةِ بذنبِكَ وأشقيتَهُمْ، قال آدمُ: يا موسى أنتَ الذي اصطفاك الله برسالتِهِ، وأنزلَ عليك التّوراةَ أتلُومَنِي على أمر كتَبَهُ الله عليَّ قبلَ أن يخلُقني فحجَّ آدمُ موسى»[3].

وكذلك تحريم الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ:

أختي المؤمنة:

احذري أشدَّ الحذر من التحدث بما لا يصح عن الله تعالى في كتابه الكريم، أو التحدّث عن رسوله ﷺ في سنّته بما لا يصحُّ ولا يثبتُ، فإنّه من الكذب، فناشر الكذب بين النّاس من الكذّابين.

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾[4].

قال الحسن رحمه الله: هم الذين يقولون: إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعلْ.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ١٦٧، والترمذي ٤/ ٢١٤١، وذكره الألباني في صحيح الجامع ٨٨ - ٤١، وقال: صحيح من حديث ابن عمرو.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ١٨٦، والحاكم ١/ ٣١، وقال: هذا حديث صحيح، ووافقه الذهبي، وذكره الألباني في صحيح الجامع ١٧٥٨، وقال: صحيح.

(٣) أخرجه البخاري ١١/ ٦٦١٤ «الفتح»، ومسلم ٤/ ٢٠٤٢، من حديث أبي هريرة.

(٤) سورة الزُّمَر، الآية: ٦٠.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كذَبَ عليَّ متعمّداً فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ»(١).

ولهذا الحديث طرقٌ كثيرةٌ صحيحة بلغت التواتر على أن معناه واقعٌ قطعاً؛ لأنّه لم يكذب عليه فواضح، وإلا فقد كذب عليه به.

وقال ﷺ: «مَنْ حدّثَ عنّي بحديث يُرَى أنّه كذبٌ فهو أحَدُ الكاذِبين»(٢).

وقالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ كَذِباً عليَّ ليسَ ككذبٍ على أحدٍ، فمَنْ كَذَبَ عليَّ متعمداً فليتبوّأ مقعَدَهُ مِنَ النّار»(٣).

أختي المؤمنة! يجبُ عليكِ التّثبُّتُ من حديث رسولِ الله ﷺ، فإنّ هناك أحاديث وضعها الزنادقةُ لإفساد دين الإسلام، فلا تُحدِّثي عن رسول الله ﷺ إلّا ممّا صحَّ وثبتَ عنه ﷺ، فمن نقلَ الكذبَ ولم يُنبّه على أنّه كذب فهو أحدُ الكذّابين.

فإن سلامة دين المسلمةِ أن يكون قائماً على ما صحَّ وثبت عن رسول الله ﷺ، وبغير ذلك يكون الوَهْمُ في الدِّين.

البحث السادس:

تحريم الاعتقاد بالكواكب والأبراج

أختي المؤمنة:

احذري أشدَّ الحذر من الاعتقادات الباطلة التي تُناقضُ الإيمان بالله تعالى وبقدره، فإن الاعتقاد بالكواكب وأنها تُؤثّر في الكون، مناقضٌ للإيمان بالله

(١) صحيح البخاري ١٠/ ٦١٩٧، وصحيح مسلم ١/ ١٠، من حديث أبي هريرة.
(٢) صحيح مسلم ١/ ٨، عن المغيرة بن شُعبة.
(٣) صحيح مسلم ١/ ١٠، من حديث المغيرة بن شعبة.

تعالى، وكذا الإيمان بالأبراج وأنها تُقرّر مصير الإنسان، وأنها تتحكّم بأعماله وبسعادته أو بشقائه، فإنها اعتقادات باطلة مناقضة للإيمان.

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**أثَرَ سماءٍ - أي: مطرٍ - من الليلِ: هل تَدْرُونَ ما قال ربُّكم؟ قالوا: الله ورسولُه أعلمُ! قال: أصبحَ من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ، فأمّا مَنْ قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمتِهِ فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكواكب، وأمّا من قال: مُطِرنا بِنَوْءِ كذا وكذا فهو كافرٌ بِي مؤمنٌ بالكواكب**»[(١)].

وقال ابن عبد البر: إن اعتقد أن النَّوء سببٌ يُنزلُ الله به الماء على ما قدَّرهُ وسبق في علمه، فهو وإن كان مباحاً فقد كفر بنعمة الله وجهل بلطيف حكمته [وهذا من الكبائر].

وجوب الحذر من الشواحر:

قال الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾[(٢)]. ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ هن السّواحر، أي: وأعوذُ برب الفلق من شرّ النفوس النّفّاثات، أو النساء النفّاثات. والنّفث: النّفخ. كان يفعل ذلك من يرقي ويسحر، قيل: مع ريق.

وهو دليل على بطلان قوله المعتزلة في إنكار السحر وظهور أثره. والعُقَد: جمع عُقْدَة، وذلك أنهنّ كنّ ينفثْنَ في عُقَدِ الخُيوط حين يسحرون بها.

قال أبو عبيدة: النفّاثات: هن بنات لبيد بن الأعصم اليهودي سحرنَ النبي ﷺ.

وأخرج النسائي وابن مردويه عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ عقَدَ عُقْدَةً ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلَّق بشيءٍ وُكِلَ إليه**»[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٨٤٦ «الفتح»، وصحيح مسلم ١/ ٨٣، ٨٤.

(٢) سورة الفلق، الآية: ٤.

(٣) رواه النسائي في كتاب التحريم، باب: الحكم في السحرة ١١٢. بداية الحديث إسناده ضعيف، كما في ضعيف سنن النسائي برقم ٢٧٦، ولفظ: «مَنْ تعلق بشيءٍ وُكِلَ إليه» فهو في صحيح سنن الترمذي برقم ١٦٩١.

البحث السابع:

تحريم سوء الظن بالله تبارك وتعالى والقنوط من رحمته

أختي المؤمنة:

إيّاك وسوء الظن بالله تعالى، فإنه منافٍ للإيمان به سبحانه، وبصفاته الكريمة، التي منها رحمته بخلقه ومغفرته لهم وإحسانه إليهم.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[1].

قال أبو زرعة: وفي معنى الإياس القنوط. والظاهر أنه أبلغ منه للترقّي إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾[2].

والظاهر أيضاً أن سوء الظنّ أبلغ منهما؛ لأنه يأسٌ وقنوطٌ، وزيادةٌ لتجويزه على الله تعالى أشياء لا تليقُ بكرمه وجوده. وفي تفسير ابن المنذر عن عليّ كرّم الله وجهه قال: أكبر الكبائر الأمنُ من مكر الله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله [والعياذ بالله من سوء الظنّ بالله تبارك وتعالى].

وفي البحث التالي بيان مفصَّل لتحريم اليأس من رحمة الله تبارك وتعالى، فإنّه من سوء الظّنّ به ﷻ.

البحث الثامن:

تحريم اليأس من رحمة الله تبارك وتعالى

أختي المؤمنة:

احذري اليأس من رحمة الله تعالى، فإن اليأس من رحمته مع التّوبة، مناقضٌ لواجب حُسْنِ الظّنّ بالله تعالى؛ فإنّه لا يَيْأسُ من رحمته إلا الكافرون.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٥٦.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٩.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٤].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن لله مائةُ رحمةٍ، كلُّ رحمةٍ منها طِباقُ ما بين السماء والأرض، أنزل منها رحمةً واحدةٍ بينَ الجنِّ والإنْسِ والبهائم، فبها يتعاطَفُونَ وبها يتراحَمُونَ، وبها تعطفُ الطيرُ والوحوشُ على أولادِهَا، وأخَّرَ تسعةً وتسعينَ رحمةً يرحَمُ بها عبادَهُ يومَ القيامةِ**»[٥].

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى يا ابنَ آدمَ إنّك ما دَعَوْتَنِي ورَجَوْتَنِي غفرتُ لكَ على ما كانَ منكَ ولا أُبالي، يا ابْنَ آدَمَ لو بلغتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السّماء ثم استغفرتَني غفرتُ لكَ، يا ابنَ آدمَ لو أتيتَنِي بِقُرابِ الأرضِ - بضم القاف، أي قريب ملئها - خطايا ثمَّ لقيتَنِي لا تُشركُ بي شيئاً لأتَيْتُكَ بقُرابِها مغفرةً**»[٦]!!.

وعن أنس بسندٍ حسن أنه ﷺ دخل على شابٍّ وهو في الموتِ فقال: «**كيفَ تجِدُكَ؟**» قال: أرجُو الله يا رسول الله، وإني أخاف ذُنُوبي!؟.

فقال ﷺ: «**لا يجتمعانِ في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن إلّا أعطاه الله ما يَرْجُو وأمَّنَهُ ممّا يخافُ**»[٧].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٧.
(٢) سورة النِّساء، الآية: ٤٨.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.
(٥) أخرجه مسلم ٤/ ٢١٠٨، وأحمد ٢/ ٥٢٦.
(٦) أخرجه أحمد ٥/ ١٧٢، والترمذي ٥/ ٣٥٤٠، وقال: حديث حسن.
(٧) أخرجه الترمذي ٣/ ٩٨٣، وابن ماجه ٢/ ٤٢٦١، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه.

وعن رسول الله ﷺ قوله: «**إن شِئْتُمْ أنبأتُكُمْ ما أوّلُ ما يقولُ الله ﷻ للمؤمنين يوم القيامة، وما أوّل ما يقولون له**» قلنا: نَعَمْ يا رسول الله! قال: «**إن الله ﷻ يقولُ للمؤمنينَ: هل أحبَبْتُمْ لقائي؟ فيقولون: نَعَمْ يا ربَّنا، فيقولُ: لِمَ؟ فيقولُون: رجونا عَفْوَكَ ومغفرتَكَ، فيقولُ: قد وجبتْ لكم مغفرتي**»[(١)].

وقال ﷺ: «**قال الله ﷻ: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا مَعَهُ حيثُ يذكرني**»[(٢)].

وعنه ﷺ يقول: «**إنّ حُسْنَ الظّنّ بالله من حُسْنِ العِبادة**»[(٣)].

وعن جابر أنه سمع النبي ﷺ قبل موته بثلاثةِ أيامٍ يقول: «**لا يَمُوتَنَّ أحدكُم إلّا وهو يُحْسِنُ الظّنَّ بالله ﷻ**»[(٤)].

وقال صلوات الله عليه: «**قال الله جلّ وعلا: أنا عندَ ظنِّ عَبْدِي بِي إنْ ظنَّ خيراً فلَهُ، وإن ظنَّ شراً فلَهُ**»[(٥)].

وقال ﷺ: «**أمر الله ﷻ بعبدٍ إلى النار، فلمّا وقفَ على شفيرها التفتَ فقال: أما والله يا رب إنْ كان ظنّي بكَ لَحسناً؟! فقال الله ﷻ: رُدُّوهُ أنا عندَ ظنِّ عبدي بي**»[(٦)].

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢٣٨، وذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٥٨، وقال: رواه الطبراني بسندين أحدهما حسن.

(٢) أخرجه البخاري ١٣/ ٧٤٠٥ «الفتح»، ومسلم ٤/ ٢٠٦١.

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٧، وأبو داود ٤/ ٤٩٩٣، والحديث إسناده صحيح.

(٤) أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٠٦، وأحمد ٣/ ٢٩٣.

(٥) أخرجه أحمد ٣/ ٤٩١، وإسناده صحيح، والحاكم في المستدرك ج٤/ ٢٤٠، وصححه وأقرّه الذهبي على تصحيحه.

(٦) أخرجه البخاري ١٣/ ٧٤٠٥ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ٢٠٦١.

البحث التاسع:

تحريم سبّ الدّهر كما يفعله الضّالّون

أختي المؤمنة:

احذري من سبِّ الدّهر يضيق عليك الرّزق، أو حين يطول البلاء ويتأخر الفَرَجُ؛ فإنّ ذلك من عمل الضّالين الذين لا يخافون من الله تعالى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**قالَ الله عز وجل: يسبُّ ابنُ آدمَ الدَّهر وأنا الدّهرُ، وبيدي الليلُ والنهارُ**».

وفي رواية: «**أُقلّبُ ليلَهُ ونهارَهُ وإذا شئتُ قبضتُهما**»(١).

وعنه ﷺ قال: «**لا يسبُّ أحدُكُمُ الدَّهْرَ، فإن الله هو الدّهرُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**لا تسمُّوا العنبَ الكرمَ، ولا تقولوا: خيبةَ الدّهرِ، فإن الله هو الدّهرُ**»(٣).

وقال ﷺ: «**قال الله عز وجل: يُؤذيني ابْنُ آدمَ يقولُ: يا خيبةَ الدّهرِ، فلا يقل أحدُكُمْ يا خيبة الدّهر، فإنّي أنا الدّهر أُقلّبُ لَيْلَهُ ونهارَهُ**»(٤).

وقال ﷺ: «**لا يقل أحدكُم يا خيبة الدّهْرِ فإنّ الله هو الدَّهْرُ**»(٥).

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ٤٨٢٦، والرواية الثانية أخرجها مسلم ٥/ ١٧٦٢، من حديث أبي هريرة.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٧٦٣، من حديث أبي هريرة.

(٣) صحيح البخاري ١٠/ ٦١٨٢ «الفتح»، من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه أبو داود ٤/ ٥٢٧٤، والحاكم ٢/ ٤٥٣، من حديث أبي هريرة، وقال: صحيح ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٨٤، وصحيح مسلم بنحوه ٤/ ٧٦٣، من حديث أبي هريرة، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

وقال ﷺ: «يقول الله ﷻ: استقرضتُ عبدي فلم يقرضني، ويشتمني عبدي وهو لا يدري يقول: وادَهْراهْ وادَهْراهْ! وأنا الدّهر»[١].

وقال ﷺ: «لا تسبُّوا الدّهر قال الله ﷻ: أنا الدّهرُ الأيامُ والليالي أُجَدِّدُها وأبْلِيها، وآتي بملوكٍ بعدَ ملوكٍ»[٢].

البحث العاشر:

تحريم تكفير المسلمة أو المسلم

أختي المؤمنة:

إيّاك من تكفير المؤمنات المسلمات لذنب أو معصية، فإنّ فعل المعاصي لا يكفر فاعلها إلّا إذا استحلها، فإنّ استحلال ما حرّم الله تعالى كفرٌ والعياذُ بالله تعالى. ومن كفّر مسلماً بدون موجب فقد ارتكب إثماً كبيراً.

قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ دَعا رَجُلاً بالكفْرِ، أو قالَ عَدُوُّ الله وليسَ كذلك إلّا حارَ عليهِ»[٣]. أي: رجع عليه ما قالهُ.

وفي رواية لهما: «مَنْ رَمَى مؤمناً بكفرٍ فهو كقتْلِهِ»[٤].

فائدة هامّة: هذا وعيد شديد وهو رجوع الكفر على قائله أو عداوة الله له، وكونه كإثم القتل فلذلك كانت إحدى هاتين اللّفظتين إمّا كفراً بأن يسمي المسلم كافراً أو عدوَّ الله من جهة وصفه بالإسلام، فيكون قد سمّى الإسلام كفراً ومقتضياً لعداوة الله، وهذا كفرٌ، وإمّا كبيرة بأن لا يقصد ذلك فرجوع ذلك إليه

---

(١) أخرجه الحاكم ١/ ٤١٨، وقال: صحيح ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البيهقي في الشّعب ٤/ ٥٢٣٧، وفي صحيح مسلم بلفظ: «لا تسبُّوا الدّهرَ فإنّ الله هو الدّهرُ» ٤/ ١٧٦٣.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٨٠، واللفظ له، والبخاري بنحوه ١٠/ ٦٠٤٥ «الفتح»، من حديث أبي ذرٍّ.

(٤) صحيح البخاري ١٠/ ٦٠٤٧ «الفتح»، وصحيح مسلم بمعناه ١/ ٨٠، من حديث أبي ذرٍّ.

حينئذ كناية عن شدّة العذاب والإثم عليه وهذا من أمارات الكبيرة، فلذا اتّضح عدُّ هذين من الكبائر، وإن لم أرَ من ذكره، ثم رأيتُ بعضهم عدَّ من الكبائر «رَمْي المسلم بالكفر» ولو قال لمسلم: سلبه الله الإيمان أو نحوه كفر على ما رجّحه بعض المتأخرين.

فاحذري أختي المؤمنة من التلفّظ بهذه الكلمات التي حرمها الله تعالى على أهل الإسلام.

البحث الحادي عشر:

تحريم تعليق التّمائم والحروز على صدور الأطفال

أختي المؤمنة:

احذري أشدَّ الحذر من تعليق التّمائم وهي خرزات كان أهلُ الجاهلية يضعونها على صدور أطفالهم يتّقون بها العين في زعمهم، فأبطلها الإسلام، وحتى الآن نجد بعض الأمّهات يضعْنَ خرزاً أزرق، لاتقاء حسد النّاس، وهذا اعتقاد باطل، مناقض للإيمان بالقدر، فإن الحسد يدفعه قراءة المعوِّذات بفضل الله تعالى.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ علَّقَ تميمةً فلا أتمَّ الله لهُ، ومَنْ عَلَّقَ وَدَعَةً فلا وَدَعَ الله له»**[1].

وأخرج أحمد بسند رواته ثقات والحاكم واللّفظ له عنه أيضاً أنه جاء في ركب عشرة إلى رسول الله ﷺ فبايع تسعة وأمسك عن رجل منهم، فقالوا: ما

(١) أخرجه أحمد ٤/١٥٦، والحاكم ٤/٢١٦، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وذكره الهيثمي في المجمع ٥/١٠٣، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم ثقات.

شأنه؟ فقال: «**إنّ في عضده تميمةً**» ففصَّى الرجل التّميمة فبايعَه النبيّ ﷺ ثم قال: «**مَنْ علّق تميمةً فقد أشْرَكَ**»(١).

فائدة هامّة:

عدُّ هذين من الكبائر هو ما يقتضيه الوعيد الذي في هذه الأحاديث، لا سيما تسميته شركاً لكن لم أرَ أحداً صرَّح بذلك بخصوصه، ولكنّهم صرحوا بما يفهم جريان ذلك فيه بالأولى، نعم يتعيّن حمله على ما كانوا يفعلونه من تعليق خرزة يسمونها تميمة أو نحوها يرون أنّها تدفع عنهم الآفات ولا شك أنّ اعتقاد هذا جهل وضلال وأنّه من أكبر الكبائر لأنّه إن لم يكن شركاً فهو يؤدّي إليه إذ لا ينفع ويضر ويمنع ويدفع إلّا الله تعالى.

وأمّا الرّقى فهي محمولة على ذلك أو على ما إذا كانت بغير لسان العربية، ولم يعرف معناها فإنّها حينئذ حرام كما صرّح به الخطابي والبيهقي وغيرهما، واستدل له ابن عبد السلام بأنّهم لما سألوهُ ﷺ عن ذلك فقال: «**أعرضوا عليّ رُقاكم**»(٢). وسبب ذلك ما قالوه من أن ذلك المجهول قد يكون سحراً أو كفراً.

قال الخطابي بعد ذكره ذلك: فأمّا إذا كان مفهوم المعنى وكان فيه ذكر الله تعالى فإنّه مستحبٌ متبرّكٌ به.

البحث الثاني عشر:

تحريم الجِدال والمِراء في القرآن العظيم

أختي المؤمنة:

حذار أن تخوضي في جدالٍ مع أهل الباطل في آياتِ الله تعالى، فإن آيات

(١) أخرجه أحمد ٤/ ١٥٦، والحاكم ٤/ ٢١٩، من حديث عامر الجهني وسكتا عنه، وذكره الألباني في صحيح الجامع ٦٣٩٤، وصححه.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٧٢٧، وأبو داود ٤/ ٣٨٨٦، من حديث عوف بن مالك.

الله حُججٌ باهراتٌ، فمَنْ لم يُصدق بها لم ينفعهُ جدالٌ، بل سيزيدهُ عناداً واستكباراً على الحقِّ؛ ولهذا ننزّه القرآن عن بُهتان أهل الباطل فلا نجادلهم فيه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه ﷺ قال: «**لا تجادِلُوا في القرآنِ، فإنّ جدالاً فيه كُفْرٌ**»(١).

وعن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «**الجِدالُ في القرآنِ كُفْرٌ**»(٢).

وقال ﷺ: «**المِراءُ في القرآنِ كُفْرٌ**»(٣).

وعن أبي سعيد أنّ رسول الله ﷺ نهى عن الجدالِ في القرآنِ(٤).

وقال ﷺ: «**ما ضَلَّ قومٌ بعدَ هُدًى كانُوا عليه إلّا أُوتُوا الجَدَلَ**»، ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾(٥) (٦).

وقال ﷺ: «**إنّ أبغضَ الرجال إلى الله الألدُّ الخَصْمُ**» أي: الشديد الخصومة الذي يحج مخاصمه(٧).

إنّ الجدال والمراء في القرآن إن أدّى إلى اعتقاد وقوع تناقضٍ حقيقي، أو اختلالٍ في نظمه كان كفراً حقيقياً، وإن لم يؤدِ لذلك وإنّما أوهم به النّاس تناقضاً أو اختلالاً، أو أدخل بالكلام في القرآن عليهم شُبهةً ونحوها، فهذا وإن

---

(١) أخرجه أبو داود الطّيالسي، ص ٣٠٢، ح٢٢٨٦، وذكره الألباني في صحيح الجامع ٧٢٢٣، وقال: صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم ٢/ ٢٢٣، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وهو في صحيح الجامع ٣١٠٦، وقال الألباني: صحيح.

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٣٠٠، وأبو داود ٤/ ٤٦٠٣، وذكره الألباني في صحيح الجامع ٦٦٨٧، وقال: صحيح.

(٤) أخرجه أحمد ٢/ ٢٥٨، وذكره الألباني في صحيح الجامع ٦٨٧٣، وقال: حسن.

(٥) سورة الزّخرُف، الآية: ٥٨.

(٦) أخرجه الترمذي ٥/ ٣٢٥٣، والحاكم ٢/ ١١٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وابن ماجه ١/ ٤٨، وذكره الألباني في صحيح ابن ماجه، وقال: حسن.

(٧) صحيح البخاري ٥/ ٢٤٥٧ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ٢٠٥٤.

لم يكن كفراً حقيقياً، إلّا أنه لا يبعد أن يكون كبيرةً لعظيم ضرره في الدِّين وأدائهِ إلى سلوك سبيل الملحدين، ولقد ضربَ عمرُ رضي الله عنه من أراد إدخالَ أدنى شبهةٍ على النّاس بسؤالهِ على نحو قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾[1].

مع قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾[3].

مع قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾[5].

ونفاه من المدينة لأنّه خشي من فتح هذا الباب أن يتطرّق النّاس إلى اعتقاد نوع نقص في القرآن المنزّه المكرّم.

والحاصل أنّ الجدال فيه إمّا كفر أو عظيم الضّرر في الدِّين فكان إمّا كفراً أو كبيرة، وبذلك صحَّ ما ذكرتُهُ واتّضح ما حررتُه، والله تعالى الموفّقُ، ثم رأيتُ بعضهم عدَّ الخصامَ من الكبائر.

البحث الثالث عشر:

تحريم كراهة لقاء الله تبارك وتعالى

أختي المؤمنة:

إنّ الانغماسَ في الآثام والذّنوب والمحرّماتِ موصلٌ إلى كراهية لقاء الله تعالى، والبُعدُ عن الله تعالى وعن عبادته سبحانه يُسبب سُوْءَ الظنّ به سبحانه، ولهذا يجب على كلّ مؤمنة ومؤمن اجتناب ما يؤدي إلى ذلك.

---

(١) سورة الصّافات، الآية: ٥٠.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.
(٣) سورة يسّ، الآية: ٦٥.
(٤) سورة النُّور، الآية: ٢٤.
(٥) سورة المُرسَلات، الآية: ٣٥.

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالتْ: قالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءَهُ، ومَنْ كَرِهَ لقاءَ الله كَرِهَ الله لقاءَهُ» فقلت: يا نبي الله أمّا كراهةُ الموت فكلُّنا نكرهُ الموتَ؟ فقال: «ليس ذلك ولكن المؤمن إذا بُشِّر برحمةِ الله ورِضْوانِهِ وجنّتِهِ أحبَّ لقاءَ الله فأحبّ الله لقاءَهُ، وإنّ الكافرَ إذا بُشّرَ بعذابِ الله وسَخَطِهِ كَرِهَ لِقاءَ الله وكرِهَ الله لقاءَهُ»[1].

فائدة هامة:

عَدُّ ما ذُكِرَ كبيرة هو ظاهر ذلك الحديث وإن لم أرَ مَنْ ذكرهُ؛ إذ كراهةُ الله للقاء من كرهَ لقاءهُ كنايةٌ عن غاية الوعيد الشّديد والتّهديد، وليس مجرد كراهة الموت كذلك؛ لأن ذلك أمرٌ طبيعي للنّفْس فلم تكن كراهتُهُ مقتضية للإثم بخلاف كراهته من حيث كراهة لقاءِ الله، فإنّها تُنبئُ عن اليأس من الرحمة [والعياذ بالله تبارك وتعالى].

البحث الرابع عشر:

تحريم الحلف بالأمانة أو بدين غير دين الإسلام

أختي المؤمنة:

احذري أشدَّ الحذر من الحلف بغير الله تبارك وتعالى، كالحلف بالأمانة، أو الحلفِ بالأولاد، أو بأحدٍ من المخلوقين، وكذا الحلف بقول الفاسقين: إن فعل كذا هو من الكافرين أو بريء من الإسلام - والعياذ بالله من ذلك - فإنّ هذه الألفاظ مناقضة للإيمان.

أشار إلى هذه الثلاثة بعضهم لكنّه توسّعَ فقال: ومن جملة ذلك أي اليمين الغَمُوس الحلفُ بغير الله عز وجل، كالنبيّ والكعبة والملائكة والسماء والآباء

(١) صحيح البخاري ١١/ ٦٥٠٧ «الفتح»، ومسلم ٤/ ٢٠٦٥، من حديث أنس.

والحياة والأمانة، وهي من أشدّها نهياً، والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السّلطان، وتُربة فلان، ثم ساق أدلة فيها نهيٌ ووعيدٌ عن الحلف بذلك كحديث «**إن الله ينهاكُم أن تحلِفوا بآبائِكُمْ، فمَنْ كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمتْ**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تحلِفُوا بالطّواغي ولا بآبائِكُم**»(٢). والطواغي جمع طاغيةٌ وهي الصّنم.

وقالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ حلفَ بالأمانةِ فليسَ منّا**»(٣).

وقالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ حلفَ فقال: إنه بريءٌ من الإسلامِ فإنْ كان كاذباً فهو كما قال، وإن كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً**»(٤).

وعن ابن عمر أنّه سمع رجلاً يقولُ: لا والكعبة، فقال: لا تحلف بغيرِ الله فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَنْ حَلَفَ بغيرِ الله فقدْ كفرَ وأشْرَكَ**»(٥).

قال بعضُ العلماء: وهذا محمول على التّغليظ، كحديث: «**مَنْ حلفَ فقالَ في حلفِه: واللاّتِ والعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لا إله إلّا الله**»(٦).

وسبب ذلك أنه كان في الصّحابة رضوان الله عليهم من هو حديث عهد بالحلفِ بذلك قبلَ إسلامه فربّما سبق لسانهُ إلى الحلف بها فأمرَهُ النَّبيُ ﷺ أن يُبادر إلى قوله: لا إله إلّا الله، ليكَفِّرَ بذلك ما سبق على لسانه.

---

(١) صحيح البخاري ١١، ح٦٦٤٦ «الفتح»، وصحيح مسلم ٣/ ١٢٦٧، من حديث ابن عمر.

(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٢٦٨، من حديث عبد الرحمٰن بن سمرة.

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٣٥٢، وأبو داود ٣، ح٣٢٥٣، من حديث بريدة، وقال الألباني: صحيح، الصّحيحة ٩٤.

(٤) أخرجه أحمد ٥/ ٣٥٥، وأبو داود ٣، ح٣٢٥٨، والنسائي ٧/ ٦، وابن ماجه ١، ح٢١٠٠، والحاكم ٤/ ٢٩٨، من حديث بريدة، وقال الألباني: صحيح.

(٥) أخرجه أحمد ٢/ ٨٦، وأبو داود ٣، ح٣٢٥١، والترمذي ٤، ح١٥٣٥، والحاكم ٤/ ٢٩٧، وابن حبان ٦، ح٤٣٤٣، من حديث ابن عمر، وذكره الألباني في صحيح الجامع ٦٢٠٤، وقال: صحيح، الإرواء ٢٥٦١، والصحيحة ٢٠٤٢.

(٦) صحيح البخاري ١١، ح٦٦٥٠ «الفتح»، وصحيح مسلم ٣/ ١٢٦٧، من حديث ابن عمر.

وأمّا الحلفُ بالصَّنم ونحوه فإن قصد به نوعَ تعظيم له كفر وإلّا فلا، وحينئذ فكونه كبيرةً له نوعُ احتمالٍ، وأمّا قول بعض المجازفين المذكور فالحُكم عليه بالكبيرة غيرُ بعيد لما في الحديث السّابق والأحاديث الآتية من الوعيد الشّديد، وهو إمّا الكفر إن كذب أو أنّه لا يرجعُ إلى الإسلام سالماً إن صدق.

وعن ابن عمر أن رسولَ الله ﷺ سمع رجلاً يحلفُ بأبيه فقال: «**لا تحلفوا بآبائِكُم، مَنْ حلفَ فليحلفْ بالله، ومَنْ حُلِفَ له بالله فَلْيَرْضَ، ومَنْ لم يرضَ بالله فليسَ مِنَ الله**» أي هو عاصٍ[1].

البحث الخامس عشر:

تحريم بُغض الصّحابة الكرام أو سبّهم والعياذ بالله تعالى

أختي المؤمنة:

إنّ من علامات النّفاق - والعياذ بالله تعالى - بُغضَ أصحاب رسول الله ﷺ، أو سبّهم، فإنّهم خيرُ الخَلْقِ بعد رسول الله ﷺ، وإنّ الطّعن بهم طعن بالإسلام؛ لأنهم هم حملتُهُ ودُعاتهُ ومبلّغوه، فاحفظي لسانَكِ أختي المؤمنة عنهم، فلا تذكريهم إلّا بما هم أهلهُ من الخير والفضيلة والإحسان ﷺ.

قالَ رسول الله ﷺ: «**من علامةِ الإيمانِ حبُّ الأنصارِ، ومن علامة النّفاق بُغْضُ الأنْصارِ**»[2].

وقالَ رسولُ الله ﷺ في الأنصار: «**لا يُحبُّهم إلا مؤمن ولا يُبغضهم إلّا منافق، من أحبَّهم أحبَّه الله ومَنْ أبْغَضَهُم أبْغَضَهُ الله**»[3].

وقال رسولُ الله ﷺ: «**لا يُبْغِضُ الأنْصارَ رجلٌ يُؤمنُ بالله واليوم الآخر**»[4].

(١) أخرجه ابن ماجه ٢، ح٢١٠١، وقال الألباني: صحيح.
(٢) صحيح البخاري ١/ ١٧، من حديث أنس.
(٣) صحيح البخاري ٣٧٨٣٧، وصحيح مسلم ١/ ٨٥، من حديث البراء.
(٤) صحيح مسلم ١/ ٨٦، من حديث أبي سعيد.

قال بعض الحنابلة: والمراد بهم من نصر الله ورسولهُ ودينهُ، وهم باقون إلى يوم القيامة، فمُعاداتُهم من أكبر الكبائر.

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبُّوا أصحابي فَوَالّذي نَفْسِي بيدِهِ لو أنْفَقَ أحدكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً ما بَلَغَ مُدَّ أحَدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ**»(١).

فائدة هامة:

عدُّ ما تقدم ذكره من الكبائر، هو ما صرَّح به غيرُ واحد من الفقهاء، وهو ظاهرٌ، وأن سبَّ الصّحابة كبيرةٌ، قال الجلال البلقيني: وهو داخلٌ تحت مفارقة الجماعة وهو الابتداع المدلول عليه بترك السّنّة، فمن سبَّ الصّحابة ﷺ أتى كبيرة بلا نزاع.

ويؤيد ذلك أيضاً صريحُ هذه الأحاديث، كحديث: «**إذا ذُكِرَ أصحابي فأمْسِكوا**»(٢).

وفي الحديث: «**مَنْ قالَ لأخيهِ يا كافر، فقد باء بها أحدهما**»(٣).

فمن قال لأبي بكر «كافر» فهو كافر هنا قطعاً، وأيضاً فقد نصَّ الله تعالى على أنه رضي عن الصّحابة في غير آيةٍ، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾(٤). فمن سبَّهم أو واحداً منهم فقد بارز الله بالمحاربة، ومن بارز الله بالمحاربة أهلكَهُ وخذلَهُ، ومَنْ ثَمَّ قال العلماء: إذا ذُكِرَ الصحابةُ بسوء كإضافة عيب إليهم وجبَ الإمساكُ عن الخوض في ذلك، بل ويجبُ إنكارهُ باليد ثم اللسان، ثم القلب

---

(١) صحيح البخاري ٧/ ٣٦٧٣، وصحيح مسلم ٤/ ١٩٦٧، من حديث أبي سعيد.

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ٢٠٢، من حديث ابن مسعود، وذكره الألباني في السلسلة الصّحيحة ٣٤.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ١١٢، ومالك في الموطأ ٩٨٤، والبخاري ١٠، ح٦١٠٤ «الفتح»، بلفظ: «أيّما رجلٍ».

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

على حسبِ الاستطاعة كسائر المنكرات، بل هذا من أشرّها وأقبحها، ومِنْ ثَمَّ أكّد النبيّ ﷺ التّحذير من ذلك بقوله: «الله الله» أي احْذَروا الله أي عقابهُ وعذابهُ، على حدّ قولهِ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[1].

وقد قال أيوب السّختياني من أكابر السّلف: مَن أحبَّ أبا بكر فقد أقام منار الدِّين، ومَنْ أحبَّ عمرَ فقد أوضح السّبيل، ومَنْ أحبَّ عثمان فقد استنار بنورِ الله، ومَنْ أحبَّ عليّاً فقد استمسك بالعُروة الوُثقى، ومن قال الخيرَ في جميع أصحاب رسول الله ﷺ فقد برِيءَ من النّفاق. ومناقبُهُم وفضائلُهُم أكثرُ من أن تُذْكَرَ.

وأجمع أهلُ السّنّة والجماعة على أن أفضلَهُم العشرةُ المشهودُ لهم بالجنّة على لسانِ نبيّه ﷺ في سياق واحد، وأفضل هؤلاء أبو بكر فعمر، قال أكثرُ أهل السنّة فعثمانُ فعليٌّ، ولا يُطعنُ في واحدٍ منهم إلّا مبتدعٌ منافقٌ خبيثٌ، وقد أرشدَ ﷺ إلى التّمسّكِ بهدي هؤلاء الأربعة بقوله: «**عليكُمْ بسُنّتي وسُنّة الخُلفاءِ الراشدين المهديينَ من بعدِي، عَضُّوا عليها بالنّواجِذِ**»[2]. والخلفاء الرّاشِدون هُم هؤلاء الأربعة بإجماع من يُعتدُّ به.

ومَنْ سبَّ عائشة رضي الله عنها بالفاحشة كفر إجماعاً؛ لأنّ فيه تكذيباً للقرآن النازل ببراءتها ممّا نسبهُ إليها المنافقون وغيرهم، وكذلك إنكار صحبة أبيها كفرَ إجماعاً أيضاً؛ لأن فيه تكذيباً للقرآن أيضاً، قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[3]. وقد أفتى غير واحد بقتل سابّ عائشة رضي الله عنها، وهي الطّيبة الطّاهرة المبرّأة من السّبّ، وقد تميّزتْ رضي الله عنها بمناقب كثيرة: جاء جبريلُ بصورتها في راحتهِ إلى النّبيّ ﷺ قبل أن يتزوَّجها، ولم يتزوّج بِكْراً غيرها، وما تزوّج امرأةً هاجرَ أبواها إلّا هي، وكانتْ أحبَّ نسائه إليه، وأبوها أعزُّ أصحابه

(١) سورة آل عِمرَان، الآية: ٢٨.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ١٢٦، وأبو داود ٤/ ٤٦٠٧، وابن ماجه ١/ ٤٢، وابن حبان ١/ ٥، من حديث العرباض بن سارية، وقال الألباني: صحيح، الإرواء ٢٤٥٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

وأكرمُهُمْ وأفضلُهُمْ عندَهُ، ولم ينزل عليه الوحي في غير لحافها، ونزلت براءتها من السماء ردّاً على من طعن فيها، ووهبتها سودة يومَها وليلتَها، فكان لها يومان وليلتان، دون بقيّةِ أمّهاتِ المؤمنين، وكانت تغضب فيترضاها؛ وقُبِضَ ﷺ بينَ سحرِها ونَحْرِها، واتّفق ذلك في يومها وكان قد استأذن نساءَه أن يُمرَّض في بيتها فلم يمتْ وإلّا في اليوم الموافق لنوبتها واستحقاقها، وخالط ريقُها ريقَهُ في آخر أنفاسِهِ، ودُفِنَ بمنزلها ولم تَرْوِ عنه امرأةٌ أكثر منها، ولا بلغتْ علومُ النّساء قطرةً من علومها، فإنّها روت عنه ﷺ ألفيْ ومائتي حديثٍ، ولقد خُلقتْ طيّبةً، وعند طيّبٍ، ووُعِدَتْ مغفرةً ورزقاً كريماً.

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: ما أشكل علينا أصحاب محمّدٍ ﷺ حديث قط فسألنا عنه عائشة إلّا وَجَدْنا عندها منه علماً، وكانت فصيحةَ الطّبع غزيرة الكرم، من غير تكلّفٍ، قسمتْ رضي الله عنها سبعين ألفاً من المحاويج ودرعها مرفوع، ولقد شاع حبُّهُ ﷺ على لسان فاطمة رضي الله عنها بنته، وعلى لسان غيرها العدل في بنت أبي بكر فلم يجب ﷺ إلّا بـ «**لا تُؤْذُوني في عائشة، فوالله ما نزلَ عليّ الوحي في لحافِ امرأةٍ منكنّ غيرها**»(١).

ومن ثم قال ﷺ: «**فَضْلُ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائر الطّعام**»(٢).

وكشف عن بصرها فرأت جبريل فقال لرسول الله ﷺ: سلّم عليها، فقال لها: «**هذا جبريلُ يقرأُ عليكِ السّلامَ**»(٣).

(١) صحيح البخاري ٥/ ٢٥٨١ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ١٨٩١.
(٢) صحيح البخاري ٧/ ٣٧٦٩ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ١٨٩٥.
(٣) صحيح البخاري ٧/ ٣٧٦٨ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ١٨٩٦.